الموروث الثقافي لمدينة غدامس ودور التنمية السياحية لتفعيله

د. محسن ميلاد الترهوني
كلية الآداب ـ جامعة طرابلس

المقدمة:

تناولت في هذه الدراسة موضوع الموروث الثقافي لمدينة غدامس ودوره في التنمية السياحية لتفعيله وحاولت في هذه الدراسة أن نسلط الضوء على أهم محاور هذا الموروث لهذه المدينة السياحية التي تعد عروس الصحراء ولما قامت به من دور ايجابي في الماضي والحاضر في التنمية المستدامة بصفه عامة. وقد قدمت الصحراء على أنها منطقه تلاقي الحضارات عكس ما سادت في آراء الكثيرين من الناس إن الصحراء منطقه معزولة ومن خلال هذا الموروث المتميز لهذه المدينة التي تعد طبيعتها الإسلامية الأكثر وضوحا في معالمها.

لذلك حاولنا تقسيم هذه الدراسة للمحاور التالية :

1. قراءة في الموروث الثقافي لمدينة غدامس.
2. الصناعات التقليدية وإمكانية استغلالها.
3. الأهمية السياحية للمقومات البشرية لمدينة غدامس.
4. نتائج الدراسة الميدانية والخاتمة.

تيمنا بما قاله بن خلدون في مقدمته الشهيرة أن أهل هذا البلد أميل للاعتدال وأنهم من أكرم سكان الشمال الإفريقي لذلك نستطيع القول أننا حاولنا قدر الإمكان أن نظهر الطبيعة الموضوعية حتى لا نظلم سكان مدينة غدامس ومورثهم الحضاري.

مشكلة الدراسة :

على الرغم من أهمية الموروث الثقافي ودوره في التنمية السياحية والتي أكدتها عدة دراسات واعتماد المجتمع الحديث في كل ركن من أركانه على البحث العلمي والدراسات

العديدة التي حاولت التعرف على العادات والتقاليد والموروث الثقافي ودوره في التنمية السياحية ومن هنا كانت هذه الدراسة محاولة لدراسة دور الموروث الثقافي في التنمية السياحية كمحاولة للتعرف على التجربة الغدامسية في ميدان التنمية السياحية ومن هنا يمكن تلخيص مشكلة الدراسة في التساؤل الرئيسي التالي:

ما دور الموروث الثقافي علي التنمية السياحية في مدينة غدامس؟

وما الآثار السلبية التي تحول دون أداءها لهذا الدور؟

أهمية الدراسة :

تظهر أهمية الدراسة من خلال الآتي :

- نظرا لأهمية الموروث الثقافي في التنمية السياحية في مدينة غدامس لكونها بداية كتراث علمي في هذا المجال.
- قد تكشف هذه الدراسة على بعض السلبيات التي يمكن علاجها بوضع تصور ومقترح للتنمية السياحية في مدينة غدامس لكي تؤدي دورها المناسب في التنمية بصفة عامة.
- تفيد نتائج البحث مخططي ومسؤلي السياحة بالمجتمع الليبي في رسم سياسة سياحية مستقبلية لما يجب أن تكون عليه التنمية السياحية وخاصة أن بالمجتمع الليبي العديد بالمقومات السياحي.

أهداف الدراسة:

1. الكشف عن مقومات التنمية السياحية بمدينة غدامس.
2. التعرف علي الموروث الثقافي بمدينة غدامس.
3. الكشف عن الآثار السلبية التي قد تحول دون تحقيق التنمية السياحية لدورها.
4. وضع التوصيات والنتائج المناسبة في الحد من الآثار السلبية للعادات والتقاليد في مدينة غدامس.

منهجية الدراسة :

تم اعتماد المنهج الوصفي حيث أن الدراسة نوع من الدراسات التحليلية وتصميم استبيان بهدف التوصل لمعرفة آثار الموروث الثقافي على التمنية السياحية بمدينة غدامس وتطبيقه علي عينة عشوائية من سكان المدينة وعددها 25 مفردة.

المحور الأول:

الاسم والمدلول وقراءة في الموروث الثقافي لمدينة غدامس:

وبوقفه سريعة أمام اللفظتين " الموروث والثقافة " يكون لدينا المدخل اللغوي لكلمة الموروث، هي المفهوم المتبع : ما يتركه الإنسان ويتملكه خلفه،أي أن الحد الفاصل في ملكية الموروث هو حياة انتهت لتصبح الملكية حقاً يكتسبه إنسان حي أخر هو الوارث ، أما اللفظ الثاني وهي كلمة التفافية، نتحصل على تركيبة معنى جديد، كما أن اتساع معني الثقافة يجعل من الصعب العثور على نقطة الفصل النهائي بين ما هو من عطاء السابقين وحدهم، وما هو من إنتاج الأجيال الممتدة حياتهم بين المراحل المشتركة ، حيث أنها تشترك في صنع الثقافة والاستفادة منها لكن من الممكن مع ذلك تتبع هذه النقطة كما أن حق الملكية في الموروث الثقافي يشيع. فيمثل ما تملك الشعوب إرثها الثقافي وتعتبره جزءاً من ثروتها تحافظ عليه وتدافع عن حقها في صيانته وحيازته، فإن الإنسانية من خلال مواثيقها الحديثة تشترك في الدفاع عن بعض الموروثات واعتبارها تراثا إنسانياً خالداً يجب صيانته وعدم المساس به مع أن هذا لا ينزع حقوق الشعوب في ملكية تراثها باعتباره واقعاً على أقاليمها، فضلاً عن إحساس هذه الشعوب بامتداد الحق المعنوي إليها من الأجداد. أن مدينة غدامس محطة أثرية تأثرت وأسهمت في تكوين الموروث الثقافي وان لبلادنا وجود هذه الواحة في عمق الصحراء أوجد بالضرورة انسجامها مع هذه الصحراء فرغم قسوة الطبيعة، وشدة حرارتها صيفاً وبرودتها شتاء، إلا أن سكان هذه الواحة استطاعوا أن يتعايشوا معها ويستثمروا ما استطاعوا من إمكانياتها وابتكروا الوسائل والمعدات والأدوات واللوازم التي تساعدهم على التعامل مع هذه الصحراء .

وغدامس، جوهرة الصحراء التي يشكل معمارها تجربة فريدة في التلاؤم مع متطلبات الحياة الاجتماعية ، كما يشكل تراثها الجميل علامة على الذوق الإنساني الرفيع وفي نفس الوقت يشكل فيه البيت الغدامسي حالة شغف بالألوان وبالسخاء في توفير اللمسة الجمالية وجعلها محيطة بالمكان "[1].

اسم مدينة غدامس :

نشأة مدينة (غدامس) وتسميتها تتباين الروايات أشد التباين والاختلاف بين الحقيقة العلمية الجيولوجية، وبين الخيال والقصة الأسطورية ولعل الحقيقة العلمية هي الأرجح والتي تقول: بأن النبع الذي نشأ بواحة غدامس، إنما يرجع سببه إلى ظاهرة طبيعية جيولوجية، تكونت بسبب وجود نقطة ضعف، أو شرخ في الطبقة الكريتاسية التي تعلو سطح منسوب الماء الجوفي، والذي كان أساساً في وجود المركز العمراني الذي قامت عليه المدينة الأثرية (1).

ولكن الاسم القديم لواحة غدامس هو (شيداموس) cydamus، ثم تحور على لسان العرب فأصبح كما هو عليه الآن (2).

وقد جاء ذكره عن طريق الرومان،ويعتقد أنهم استعملوا هذا الاسم الذي كان معروفاً عن (الجرمنت) أو الذين كانوا قبلهم حيث أشار (بليني الأكبر) على أن أسمها (سيدامي) sydamae وكتب في تاريخ لاحق (سيدامس sydams) بأن الحملة العسكرية الرومانية عام 19 ق.م ضد جماعات الصحراء (3) .

هذا وقد ذكر(غدامس) العديد من الجغرافيين والرحالة العرب والأجانب في مؤلفاتهم، فجاء هذا الاسم عند ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان والروض المعطار في أخبار الأقطار، وتحدث عنها أبن عبد البر التونسي وكذلك أبو الفداء في مؤلفه البلدان.

---

[1] – الصغير عبد القادر باحمي وجمعة محمد العناق، السياحة الصحراوية واقع وآفاق ، مالطا _ 1999 م ص 61.

[1] – الهادي أبو لقمة، البيئة الطبيعية والتطور التاريخي ، ص 24 .

[2] – عبد العزيز طريح شرف، جغرافية ليبيا ، ص 475.

[3] – الهادي أبو لقمة، مدينة غدامس، البيئة الطبيعية والتطور التاريخي، المرجع السابق ، ص 28.

التطور التاريخي لمدينة غدامس :

مرت على غدامس فترات تاريخية متعاقبة كانت انعكاسات أحداثها إما موجبة أو سالبة وذلك حسب طبيعة الأقوام التي سكنتها ومن الأرجح أن الغدامسيين فنيقيو الأصل، وذلك لشهرتهم التجارية التي أشتهر بها أسلافهم، فكانت مراكزهم على حافة الصحراء في (كانووتمبكتو وغات وعين صالح وطرابلس).

وأيضاً في تونس والجزائر (1) ثم أن غدامس كانت خاضعة لحكم الجرامنتيين ويعتقد (بلينو blinio) أن لأصنام بها تابعة للحضارة الجرامنية (2).

وقد كانت قلعة استراتيجية لهم لمراقبة المجال الجغرافي والمحافظة عليه من الدخلاء، ويؤكد ذلك ما وجد في شمال شرق المدينة من أثار ونقوش يونانية يحتمل أن تكون من آثار الجرمنت وأيضاً القلعة التركية المبنية على الجزء المرتفع منه مازالت قائمة حتى الآن. هذا وقد اكتسح (كورتيموليوس بالبوس) الروماني مدينة (غدامس) وهو في طريقة إلي جرمه عاصمة الجرامنتيين في عام 19 ق.م وأصبحت لهم فيها حامية عسكرية تابعة لحماية قسطنطينية بالجزائر والآثار التي وجدت الواحة تؤكد ذلك(3).

إن الحضارات القديمة التي ذكرت جعلت هذه المدينة غنية بالآثار والأماكن السياحية التي تجدب السياح من معظم أنحاء العالم إما لمشاهدتها أو لدراسة معالمها والتي سيتم توضيحها لاحقاً .

إذن هذه الأرض التي بهذه الخيرات والإمكانات الإستراتيجية الهامة كانت مطمعا لكثير من شعوب الأمم القديمة والحديثة، فأخضعها معظم السلاطين الحفصيين ومن بينهم (أبو فراس عبد العزيز الحفصي) في عام 1288م، مارا بها إلى مدينة تلمسان بالجزائر ولتأمين مؤخرة جيشه أثناء الهجوم عليها. وفي عام1810م واجهت هذه المدينة حملة(رمضان بأي) والذي كان قاصداً ضمها إلى الإدارة التركية والسيطرة على طرق القوافل التي كانت تربط غدامس بالمدن الصحراوية إلى الإدارة التركية ، ولكن الأهالي صمدوا أمام

---

(2) – نفس المرجع ، ص80.

(3) – الهادي أبو لقمة، البيئة الطبيعية والتطور التاريخي، مرجع سابق ، ص 26.

هذا الغازي مما أدى إلي هزيمته ولم يستطيع دخول المدينة ، ولما لم يتمكن من فرض الجزية عليها أثر في اقتصادها ، وذلك بأن قطع حوالي 500 نخلة، ودمر أجزاء من سور المدينة (1) .

صورة رقم 1

حروف باللغة التارقية

وتعرضت غدامس أيضاً في العهد العثماني إلي حملة (يوسف باشا القره مالي) فأخضعها لنفوذه بطرابلس، وفرض عليها الجزية فأدى ذلك إلي انتكاسه اقتصادية لها ثم بعد ذلك دخل الاستعمار الإيطالي واحة غدامس عام 1911م بمساعدة أحد أذنابه من بقايا الأتراك المدعو (حسن حسني) هو تركي بجنسيته إيطالي بروحه وأعماله، فأفسح المجال

(1) – نور الدين مصطفي الثني، مرجع سابق، ص 80.

لدخول الإيطاليين لهذه الواحة وبعد جهاد وقتال عنيف طردهم الغدامسيون عام 1915م، ولم يستطيعوا العودة إلا في عام 1924م، وبعد عشرين عاماً تقريباً ، وبالتحديد في ليلة 12 / يناير 1942م ، كانت الليلة الأخيرة للإيطاليين في غدامس إلى الأبد .

وفي مساء يوم 13 / يناير ، دخلت القوات الفرنسية بـ 1500 جندي وضابط ، سيطروا على غدامس حتى أوائل شهر فبراير من عام 1948 م،عندما قررت اللجنة الرباعية الموفدة من قبل الأمم المتحدة لتتقصى الحقائق ، فسآلو الأهالي عن تقرير المصير، فأجابو بالاستقلال التام ، والوحدة الوطنية والانضمام إلى الجامعة العربية (2).

نخلص إلى إن مدينة غدامس قد صمدت صموداً عظيماً أمام هذه الغزوات منذ العصر المسيحي بل قبله بكثير، وأن الغزاة من الفينيقيين إلى اليونان ووصولاً إلى النفوذ الروماني إلى من كان يحكم الصحراء الليبية، وكذلك خضوعها الطويل من حكم الفتح الإسلامي وتلاه الحكم التركي.

- **وعن الفتح الإسلامي :**

كانت هناك مفاوضات بين الأهالي (والقائد عقبة بن عمر) ، عقب مقتلة إثر معركة مع سكان (انونو) وارتدادهم عن الإسلام ، ولا يزال المسجد الذي ووري فيه جسده الثري، ضمن معالم المدينة وسط المقبرة الرئيسة ، ويعود تاريخ بنائه إلى سنة 662 للميلاد، وفي العصر التركي بالمدينة الذي افتتحت أول فصوله سنة 1842 ببناء (القشلة القديمة) التي لا أثر لها اليوم ، غير أن مكانها معلوم بالقرب من عين حواء مفترق الطرق بين الشوارع تنقزين وبليل ، وجرسان ، وما تزال القلعة التركية باقية إلى يومنا هذا.

(2) – بشير قاسم يوشع ، غدامس ملامح وصور ، دار لبنان للطباعة والنشر ، 1973م ، ص ص89– 135.

- **الطوارق :**

تعرف قبائل الطوارق، وبمواقفها المشرفة في الدفاع عن الوطن والشهامة والأدب والكرم وحسن الخلق، لاسيما قبيلة (افوغاس) التي استوطن أفرادها المنطقة منذ مئات السنين.

وتعود أصول الطوارق إلى الشعب البربر، وينقسمون إلى أربعة قبائل، هي (افوغاس) ويقطن أفرادها (غات ومرزق وأوباري ووادي الحياة ومنغساتن ، وينتشر أفرادها في درج والشاطئ وأوباري، وتعد قبيلة أمنان التي تعد أشهر قبائل الطوارق التاريخية في ليبيا، ويقطن أفرادها، في موطنهم الأصلي بمنطقة غات وأوباري، وجانت، وترتبط تلك القبائل بصلات وثيقة، وينتخب على رأسها شخص واحد يمثل الحاكم الأصلي من جميع القبائل يسمى (امنوكل) ويتوارث الحكم أبناء القبيلة من بعد وفاته.

وتتخلل مناصب تنصيب "امنوكل" استدعاء شيوخ وأعيان القبائل لإعلان الأمير، ووضع العمامة على رأسه علامة على توليه مسؤولية قيادة القبائل، وإثر انتهاء مراسم التنصيب تنطلق الاحتفالات، حيث تدق الطبول وتقام المسابقات بين الفرسان، وتفد إلي مقرر (امنوكل) المميز بوضع طبل كبير على خيمة الوفود من القبائل كافة لتهنئته .

وتشمل اختصاصات (امنوكل) إعلان الحروب وجباية الضرائب، على سلع وبضائع القوافل التي تمر بالأراضي التي تسيطر عليها القبائل الطارقية بإستثناء الكتب الدينية، بالإضافة إلى تحصيل الضرائب الزراعية ، والخاصة بتربية الأغنام والمواشي والمعادن، وإبرام عقود الصلح والاتفاقيات والمعاهدات.

لمحة عن الموروث الثقافي :

أما عن أهم العادات والتقاليد السائدة لدى الطوارق، وطبقات المجتمع الطارقي والديانة ، فنجد أن الطوارق اعتنقوا الإسلام بعد فتح الأندلس، ووصفوا بإلتزامهم بآداب الدين الإسلامي وتعاليمه السمحاء، أما عن لباس الطوارق المتميز بالأثواب، الفضفاضة، وألوانها البيضاء والسوداء، أو ملون بألوان أخرى، وارتداء العمامة والشال، الذي يعد دليل على اكتمال الرجولة أما النساء فإن أبرز ما يميز المرأة الطارقية من لباس، فيتمثل في العباءة

الكبيرة الشبيهة بالقميص الرجالي، وتوضع فوقها قطعة كبيرة من القماش تلف جسدها من الرأس حتى أصابع القدمين على هيئة رداء، ويظل وجهها مكشوفاً عكس الرجال.

وقد سكن الطوارق الخيام المعروفة باسم" تكبا رين" منذ القدم وجرت العادة لديهم أن تتخذ كل قبيلة مضرباً وسط بطون الأودية تقيم فيه خيامها، وفي فصل الصيف تختار القبيلة للإقامة قمم الجبال والهضاب نظراً لاعتدال الطقس وطاقة الهواء وإلى جانب الخيمة جرت العادة على إقامة المطبخ المشيد بالحجارة والمسقف بالأعواد والأخشاب وتشييد حظائر المواشي والأغنام ولا يتجاوز الأثاث في الخيمة الطارقية البسط وصناديق حفظ الملابس وبعض أواني الطهي والأكل والشرب وأدوات صناعة الجبن والقشدة .

أما عن لغة الطوارق (التيفنياغ) يشار إلى أن هذه اللغة تتكون من 24 حرفاً، وهي لغة مقروءة ومكتوبة ، وأهتم (الشاوي الإله) .

بوضع مسودة خطية للغة الطوارق، كما وضع ضوابط خاصة، وقاموس تارقي ثم بعد ذلك النفوذ الأوروبي الذي ارتحل دون رجعة بعد الحرب الكونية الثانية، ممثلاً في دولة فرنسا التي انسحبت من جنوب البلاد عام 1950م، وهذا بقيت غدامس عربية مسلمة تفخر بصمودها وتزخر بثرواتها وإمكاناتها التاريخية والحضارية ، يأوي إليها السياح من جميع أنحاء العالم، وأيضاً الدارسون والباحثون من مثل ذلك (داسيموتولنسكي) الجغرافي المعروف وكذلك (لارس أيلد يلوم) السويدي الجنسية والذي قام بتحضير رسالة دكتورا عن مدينة (غدامس) وعن (عين الفرس) ونظام سير مياهها، وأشترك معه (الأخ / قاسم ضوى الغدامسي) في رسم خريطة للمدينة القديمة ومزارع النخيل في عام 1962م وتزداد أهميتها كل يوم، وخاصة عندما يزداد الاهتمام بها سياحياً.

المقومات الطبيعية لمدينة غدامس :

الموقـع :

يعتبر الموقع بأنماطه المختلفة من الموضوعات الأساسية في الحقل الجغرافي ذلك لتأثيره القوي ولتعدد محاوره في كافة مجالات الأنشطة البشرية (1)، وله أهمية مباشرة إذا أن

(1) – محمد خميس الزوكة ، صناعة السياحة من المنظور الجغرافي ، ص 130.

الموقع له دور كبير في تحديد خصائص بعض عناصر المناخ ، وأشكال النباتات ذات الجدب السياحي .

وتشترك مدينة غدامس الصحراوية في كثير من المميزات التي تميز المدن الصحراوية بشكل عام، ولكن هذه المدينة تختلف عنها اختلافا كبيراً وذلك بسبب موقعها الممتاز الذي ساهم في استقرار واستمرار الحياة بها قرونا عديدة فهي تربط بقية مدن ليبيا بواسطة طريق معبد (طرابلس نالوث) والذي ينتهي بهذه المدينة الواقعة في أقصي مدن الواحات الشمالية ناحية الغرب حيث الاتصال بالعرق الكبير الممتد في جنوب تونس وجنوب شرق الجزائر، أما من ناحية الشمال والشرق والجنوب ، فحمادة (تنفرت) تشرف على هذه المدينة، بشكل جروف شديدة الانحدار في معظم الأماكن بالصحراء الليبية مرورا لمدينة غدامس .

صورة رقم 2

الصحراء الليبية مرورا لمدينة غدامس وتقع مدينة غدامس فلكيا عند دائرتي عرض 08 – 30 شمالاً وخط طول 30– 9 شرقاً وهي تبعد عن مدن الشريط الساحلي الغربي وبالتحديد إلى الجنوب الغربي من مدينة طرابلس حوالي 700 كم ، وغرباً الحدود الجزائرية

بعد حوالي 13 كم، أما جنوباً فالحمادة الحمراء وفي اتجاهها طريق معبد يربط بين المدينتين الصحراويتين التوأمين (غدامس وغات) بمسافة 400 كم(1) .

ويمكن القول هنا أن السائح المسافر من مدينة طرابلس إلى مدينة غدامس بطريق البري يستمتع بأجمل اللحظات عند مروره بالمدن والقرى والواحات وأيضاً على قمم الجبال .

وتعتبر مدينة غدامس في موضعها ضمن نطاق سلسلة المنخفضات الشمالية التي تتماشي مع الدائرة العرضية 29–30 شمالاً حيث أن واحة الجنوب ركنها الشرقي وأن واحات (جالو، أوجلة، مراده، أجخرة) تتوسط هذه السلسلة، أما واحة غدامس ففي أقصي الغرب.

معالم سطح الأرض :

تضاريس منطقة (غدامس) عبارة عن بيئة طبيعية صحراوية تشكلها صخور العصر الكريتاسى، شأنها في ذلك شأن إقليم طرابلس ، والجبل الغربي ومساحة جزء من أرض تونس والحمادة الحمراء ، ولهذه المدينة التي تقع إلى الشمال قليلاً من نطاق باقي الواحات الشمالية على امتداد دائرة عرض 29 شمالاً، فهي من بين مناطق الاستقرار المنتشرة بين الساحل شمالاً وواحات الجنوب (2) .

إن هذه الواحة لا تشغل إلا مساحة محدودة جداً من مساحة حوض غدامس الكبير فمساحتها لا تتعدي مائة وخمسون هكتار، ومع ذلك فأنها تلفت الانتباه لبعض المظاهر التضاريسية والتي من بينها وعلى بعد عدة كيلو مترات من جهة الغرب سبخة أقيمت على جزء منها قرية (تونين) وقرب منها يظهر (قوزرملي) يبلغ ارتفاعه مائة متر . أما جنوب الواحة فهناك منخفض (كابو) الذي تشكل جوانبه صخور جيرية يميل لونها إلي الأحمر وإلي الشرق منها يوجد (تلان) الأول على شكل مخروط يعرف باسم (جبل الضباب) أما التل الثاني فهو لا يبعد عن الأول سوى بضع كيلو مترات، وأكثر ارتفاعاً منه يسمى (قارة تسفين)(1).

---

(1) – محمد خميس الزوكة ، صناعة السياحة من المنظور الجغرافي ، مرجع سابق، ص 130.

(2) – الهادي أبو لقمة، البيئة الطبيعية والتطور التاريخي من كتب غدامس ، التحضير والقاعدة الإقتصادية ، منشورات قاريونس ، بنغازي ، ط 2 ، 1995م ،ص 19 .

(1) – عبد العزيز طريح شرف، جغرافية ليبيا ، مؤسسة الثقافة الجمعية الإسكندرية ، 1963 مرجع سابق، ص 133.

هذا وتقع الواحة في مجرى وادٍ قديم ، يتكون من عدة روافد تأتي من غرب وشمال غرب الحمادة الحمراء، وينتهي في منطقة العرق إلى الغرب من (غدامس) ببضعة كيلو مترا.

ومن أهم المظاهر الجيمورفولوجية ظاهرة (القَارَات) ومفردها (قَارَة) وهي عبارة عن حافة من الصخور الرسوبية تقطعت بفعل الأودية ومن أهمها قارة (الحمراء والمشلوخة) الواقعة قبل التقاء وادي (المالح) بوادي (وال) يضاف إلى ذلك (القلنوات) الصخرية والتي يبلغ عددها حوالي تسعين (قلنوة) وتقع فوق القارات . وأيضاً هنا أكثر من ثمان وثمانين حافة صخرية منها ثلاث حافات متصلة والأخرى منفصلة .

كما توجد مجموعة من الكثبان الرملية تكونت بفعل التعرية الهوائية وهي عبارة عن هضبة رملية بجانبها عدة هضاب أخري ترتفع حوالي (100) متر، وهي ذات منظر جمالي سياحي بديع،إذا أن السياح يأتون إليها من جميع أنحاء العالم، وقد شوهد بعضهم وهم يتزحلقون على هذه الرمال طاعنين في السن جاءوا من أقصي شرقي أسيا وبالتحديد من جزر اليابان .

المنـاخ:

يعتبر المناخ من العوامل الأساسية في الطبيعية وهو المؤثر الفعال في نشؤ وتطور السياحة، حيث أن النشاطات التي تجري في الهواء الطلق، تعتمد اعتماداً كبيراً على نوعية الطقس وتتأثر بتقلباته وفي مدينة (غدامس) فإن شهري ابريل وأكتوبر يعتبران من شهور الراحة المناخية لأنهما لا يزيدان عن الرقم المحدد إلا بدرجات قليلة .

المصادر المائية :

إن دراسة موارد المياه وكمياتها،ونوعيتها كعنصر طبيعي حيوي لجميع الكائنات الحية، لها دور مهم في النهوض بالتنمية السياحية ، وإنجاح مشاريعها، فتوفر المياه من المصادر الطبيعية أو البديلة كالمياه السطحية الارتوازية الجوفية والعيون واستغلال مياه الأمطار وتحليه مياه البحر والنهر الصناعي وغيرها كل ذلك له أثر كبير في إنجاح قطاع السياحة وتطورها في أي منطقة من البلاد ويمكن دراسة المياه ومدي إمكانية لاستفادة منها سياحياً في مدينة غدامس .

ومدينة (غدامس) تعد من مناطق الاستقرار السكاني منذ آلاف السنين رغم وقوعها في المنطقة المدارية الصحراوية شبه الجافة، شأنها في ذلك شأن كل المدن الواقعة في الواحات الشمالية والدليل على ذلك وجود العديد من الأودية الجافة في الجهات التي تحيط بها، والتي كانت تحمل كميات وفيرة من مياه الأمطار، وتلقي بها في هذا المنخفض، وكان ذلك قبل التغيرات المناخية التي طبعت الصحراء بمناخ جاف، استحالت معه الحياة،وخاصة عندما بدأ متوسط مطرها السنوي لا يزيد عن 36 ملم ولولا المخزون الجوفي للمياه القديمة والتي كانت سبباً في وجود النبع المائي المسمى (عين الفرس) وهو قديم قدم هذه المدينة وقد تفجر من باطن الأرض بسبب الضعف في القشرة الأرضية (1).

صورة رقم 3

عين الفرس غدامس

[1] – الهادي مصطفي أبو لقمة، البيئة الطبيعية والتطور التاريخي، مرجع سابق، ص 20.

وكان الماء يتدفق بغزارة ويتوزع في خمس قنوات رئيسة هي: (تصكو – طارط– تنبشي– تنجتاون– تندفران)(2).

وعن طريقها تنقل إلى أرجاء المدينة، لري المزارع وسقاية الناس في المساجد والحمامات العامة والبيوت. واعتمدت المدينة حتى عام 1972م، على مياه هذه العين وتقسم المياه بساعة (القادوس)، بين سكان هذه المدينة، وفقاً لحصص متفق عليها.

ومنذ ذلك التاريخ بدأت مياه العين في الهبوط والنضوب حتى جفت نهائياً ولكن المياه الجوفية لم تنته من الأرض بانتهاء مياه هذه العين فهناك عيون أخرى مثل : (عين بن تاله – وعين بن حواء) بالإضافة إلى الآبار الجوفية القديمة والحديثة والآبار السطحية المنتشرة داخل المزارع والتي تتراوح أعماقها مابين 12–13م، وفي كل الأحوال فإن كمية المياه لم تكن لتكفي الزراعة بشكل فعال ولذلك نجد أن شجرة النخيل هي أهم المزروعات في الواحة لأنها تتحمل الجفاف.

هذا ويمكن الإشارة هنا على أن أهم المظاهر الطبيعية المائية والتي لها دور كبير في جلب السياح لهذه المنطقة وممارسة الهوايات السياحية كالسباحة مثلاً وهي تلك البحيرة التي تسمي بحيرة (الدبانة) وهي تبعد 40 كم شرق مدينة غدامس وعلى ما يبدو أنه ليس هناك أية تحليل أو دراسة لمعرفة تكوينات وطبيعة مصدر هذه المياه[1].

النباتات الطبيعية :

رغم أن منطقة (غدامس) تشكو من قلة الغطاء النباتي وخاصة خارج حدود المدينة، بسبب الظروف المناخية ن ونوعية التربة السائدة إلا أن بها النباتات الصحراوية المنتشرة عند التقاء الأودية ، وذلك بسبب ارتفاع نسبة الرطوبة في التربة وأهم تلك النباتات :

(عنب الذيب، الجداري، الأراك)[2].

أما مجموعة الأعشاب الطبية مثل (عقول، برنج، سنة، الحنظل ، الحرمل، وأنواع أخرى كثيرة) كما يجد السائح في مدينة (غدامس) روعة وجمال أشجار النخيل التي تكاد

---

(2) – أحمد ضو عبد السلام، المعادن والمقاطع والمواد المختلفة الموجودة بواحة غدامس ، ص 2.

(1) - أحمد ضو عبد السلام، مصدر سابق ذكره ، ص 3 .

(2) – بريك عبد العزيز أبو خشيم، مرجع سابق، ص 301-301.

تعانق السماء، وعندما سئل عن أعمارها وجد أنها ذات أعمار خيالية جداً، وهذا دليل على قدم حرفة الزراعة في هذه الواحة ويلاحظ المرء تجمعات أشجار النخيل على هيئة تجمعات كثيفة، لها منظر جميل، ويصل عددها تقريباً (11000)[3] نخلة، بعضها ذات أصناف ممتازة، كما يزرع الأهالي بعض الأشجار الأخرى مثل (الزيتون، الرمان، الفواكه) وبعض أشجار القطن بعض المشاريع للاكتفاء الذاتي.

المحور الثاني :

العادات والتقاليد والصناعات التقليدية وإمكانية استغلالها بمدينة غدامس :

العادات والتقاليد :

ويقصد بها الأعمال والأفعال التي قام بها الأجداد منذ زمن بعيد يحتم على الأحفاد التقيد بها والالتزام ضمن حدودها لأنها هي الأصول .

إن العادات والتقاليد هي ميراث لحضارتنا التي يرث فيها الآخرون أو الشعوب الأخرى وهي تعكس صورة واضحة عن مجتمعنا (مدى التطور، وطريقة التفكير ومعيشتنا...إلـخ) .

وتظهر العادات والتقاليد في الأفعال والأعمال التي يمارسها الأفراد، ويعتادونها، وتمثل برنامجاً يومياً أو دورياً لحياتهم .

أما عادات وتقاليد مدينة غدامس فنجدها قائمة إلى وقتنا الحالي حيث تجد السكان محتفظين بهذه العادات مثل مراحل إتمام مراسم الزواج التي تستمر طيلة 15 يومياً، إبتداء بيوم (التحميص) وهي الحبوب التي سيتم تقديمها خلال أيام العرس، يليه يوم (الصبيغة)، الذي يتم فيه إهداء الأب لأبنته العروس الملابس الصوفية وفي الغالب تشتمل على (اسكمبو)، والبخنوق والمناديل وتيجمت وهي عبارة عن خيوط منسوجة من الصوف الخاص تضعها العروس في نهاية خصلات شعرها وفي اليوم الثالث تتم عملية جمع الحطب لاستخدامه في إعداد الوجبات طيلة أيام العرس، ويتجه في هذا اليوم الشباب إلى قارة

[3] – أراء وأقوال أهالي غدامس، فبعضهم يقول 10000وأخرون 2000أو 3000أو 11000نخلة تعتمد الرقم الأخير .

الحطابة، الواقعة على بعد 16 كم لتجميع الحطب، ويشهد اليوم الرابع تحضير الحناء وسط الغناء والأهازيج المصاحبة وفي اليوم الخامس تنطلق النساء إلى بيت الزوجية ويقمن بطلاء جدران المنزل، وهن يطلقن الزغاريد وصيحات مميزة ، لتنبيه الجميع للحضور والمشاركة في العمل، وأثناء فترة المساء تفتتح مراسم الاحتفالات بتقديم التهاني والدعاء بأفضل التبريكات للعروسين، وسط أجواء احتفالية تعرف بحفلة (أمبارك) وفي يوم الخميس اليوم السادس ينطلق أصدقاء العريس إلى أحد البيوت المخصصة لاستقبال ضيوفه، ويتم فرشه وتزيينه، ومن العادات الغريبة في مساء هذا اليوم قيام النساء بزيارة بيت عائلة العريس بحجز أماكن للجلوس، للمشاركة في احتفالات عقد القران، وبعد صلاة العشاء ينطلق الشباب مرتدين أفخر الملابس إلى أحد ميادين البلدة للاحتفال، وتأدية الرقصات على أنغام الفن الشعبي المعروف باسم (تجيقلت) و(انقنان) حتى الساعات الأولى من الصباح وتتخلل احتفالات يوم الجمعة وهو يوم عقد القران،حفلة كبرى للنساء تستمر إلي صلاة العصر، أي بعد عقد القران لتتجدد الاحتفالات حتى الفجر، وفي اليوم الأول من الأسبوع الثاني يتجه الشباب والنساء إلى بيت العروس، للاحتفال وسط الأنغام الشعبية، والرقصات المعروفة مجليات (الهد) أو (المنخ) في المناطق الأخرى ويتخلل اليوم الثامن من مراسم العرس الغدامسي عرض لهدايا العريس إلى العروسة من بينها،الملاحف السودانية والأردية الحريرية والقطع الفضية والذهبية والمجوهرات ومن أجمل وأغرب وأقدم العادات المتبعة في العرس الغدامسي ما يصاحب يوم (مورينا) وهو اسم نائبة الكاهنة التي حكمت البلاد في القرن السابع الميلادي ، وأطلق هذا اليوم تكريماً لها، بحضورها إحدى المناسبات وتتخلل احتفالات هذا اليوم تجهيز البخور والروائح ووضعها في أواني خاصة، ويخصص جزء بيت العريس، وآخر لأهالي العروس والباقي يوزع على النسوة، ويبدأ العد التنازلي لاختتام مراسم العرس الغدامسي، خلال اليوم الحادي عشر ببلوغ الاحتفالات أوجها فعند المساء يقام احتفال فخم في منزل العروس، يقتصر على البنات من سن الخامسة إلى العشرين سنة، يطلق عليه اسم (أفض، المودوو) أي ليلة الجامع، تقسم فيه الحاضرات ، وفق أعمارهن، فالبنات من سن العاشرة وما دون يجلس في وسط المنزل مع باقي الفرقة، أما ما يزيد عمرها عن عشر سنوات تجلس إلى

جانب العروس داخل خيمة تنصب فوق سطح المنزل ، وتستمر مراسم الاحتفال إلى ما بعد صلاة العشاء، لتنزل العروس إلى وسط المنزل ويأتي العريس رفقة أصدقائه لاصطحاب العروس ورفيقاتها إلى أحد المساجد لغسل أطرافها ، ويقفل الجميع إلى نقطة الانطلاق وينفصل الشباب عن الفتيات، ليستأنف كل فريق احتفالاته إلى شروق الشمس ومع بداية اليوم الثاني عشر من العرس تنطلق الاحتفالات بيوم الحنة، فعند الظهر تجتمع النسوة مجدداً في بيت العروس، وتتم صباغة أصابع أقدامها ويديها بالحناء، ويرسل جزء منها لصبغ أصابع قدم العريس في المساء،وعند صباح اليوم التالي للدخلة، تقام وليمة كبرى يدعى إليها الجميع، يقدم خلالها الكسكسى ويتم توزيع الوجبات على الجيران، على طول امتداد الشوارع، وبعد صلاة الجمعة يتجه العريس ورفاقه إلى بيته لأداء رقصة الدلالة على أنغام الباهوري، وإثر صلاة المغرب تقوم والدة العروس بإعداد وجبة العشاء وإرسالها لمنزل ابنتها، لتقديمها الأصدقاء العريس، لتختتم مراسم العرس في اليوم الخامس عشر.

صورة رقم 4

غرفة الجلوس الغدامسية

التفاؤل لدي الغدامسيين :

بقيام عائلة العروس بإعداد وجبة الملوخية، وتوزيعها مع الخبز على المنازل، وفي المساء يتم تقديم وجبة العشاء لأعيان الحي، داخل بيت العريس.

أما عن الاحتفالات الدينية بغدامس فنجد عادات وتقاليد المصاحبة لتلك المناسبات ومن بينها الاحتفال بعيد الفطر، والوقوف بعرفة وعيد الأضحى الذي كان يختتم طقوسه المصاحبة باحتفال كبير في الحقول المحيطة بالمدينة ، وترديد الأغاني الخاصة بالمناسبة أما الاحتفال بالمولد النبوي فإن الغدامسيين يبدؤون هذه المناسبة منذ يوم 25 من صفر بقراءة المدائح النبوية ، تستمر طيلة ثلاثة أشهر، وفي ليلة الإسراء والمعراج التي تسمى محليا بـ (تبارتين) يتم قراءة قصة الإسراء و المعراج وصيام ثلاثة أيام، وتوزيع الحمص والفول على الأطفال ، وللرضع تقدم أكياس تسمى (الفكية) أما البنات فيحتفلن بإحضار أطباق الفاكهة وقطع السكر، على المائدة المسماة محلياً بـ (تبارت) ويستقبل أهالي مدينة غدامس القديمة شهر رمضان بقراءة القرآن وتبادل الاستضافة على مائدة الإفطار، ويخرج الأطفال إلى الشوارع، مرددين بعض الأغاني الخاصة بالشهر الكريم، وتغيرها من المناسبات الدينية، ولا يمر رأس السنة الهجرية دون احتفال، بتقديم وجبة الملوخية.

نبذة مختصرة عن الصناعات التقليدية :

الصناعات التقليدية نتاج حضاري لآلاف السنين من التفاعل الحي بين المجتمعات المحلية بما تحمله من رؤى وقيم حضارية وبين بيئتها الطبيعية وبينها وبين المجتمعات الأخرى.

كما تعد الصناعات التقليدية مظهراً من مظاهر الحضارة، بل هي وسيلتها الأولى للتعبير عن ثقافة وأصالة المجتمع، وقد انبثقت الصناعات التقليدية من البيئة المحلية وارتبطت بها ارتباطاً وثيقا واتخذت حرفة ومصدرا للعيش لكثير من أفراد المجتمع حيث احتلت الصناعات التقليدية في غدامس منذ القدم مكانة بارزة حيث كان لها دور مؤثر في ثقافة المجتمع عبر العصور، وتزدهر هذه الصناعات باعتبارها مردوداً اقتصادياً أيضاً حيث

يمارسها قسم كبير من السكان، وتتنوع الصناعات التقليدية في غدامس لتشمل (الصناعات الجلدية، الصناعات القائمة على منتجات النخيل أو السعفية، والصناعات الصوفية والوبرية والصناعات الحديدية، الصناعات الخزفية أو الفخارية، والصناعات النحاسية).

والمحافظة على هذه الصناعات يكون بتشجيع الراغبين عليها ومدهم بكل من الدعم المادي والمعنوي لتحفزهم على العطاء والاستمرار ولزرع روح المنافسة الشريفة.

الصناعات التقليدية وإمكانية استغلالها

تحتل مدينة غدامس – ولازالت – موقعاً استراتيجياً هاما انعكس عليها أحياناً بالإيجاب وأحايين أخرى بالسلب.

فقد كانت مثار اهتمام الفينيقيين،كما أشار إلى ذلك د. محمد الشركسي في بحته، الذي كان بعنوان" الغداميسيون هم فينيقيو الصحراء"، والذي شارك به في المؤتمر العلمي حول الواحات العربية في ليبيا، الذي عقد في طرابلس عام 1991. ونقل عن مارك فورنيل Marc fournel مشيراً إلى أن الغدامسيين بأنهم يميلون إلى الأعمال التجارية يجعلنا نفترض بأنهم من أصل فينيقي وكانت مراكزهم التجارية توجد على حافة الصحراء في الواحات والمدن بأفريقيا الوسطى في كانووتمبكتو و غات وعين صالح وطرابلس وتونس والجزائر ".

ويتضح حسب ما أورده المؤرخ الروماني بلينيوplinio بأن سيداموس Cidamus (غدامس) كانت خاضعة لحكم الجرمانتيين وكانت من أهم المراكز التجارية لهم، كما يعتقد بلينيو بأن الأصنام الموجودة بغدامس تابعة للحضارة الجرمانتية. ثم كانت غدامس هدفاً للرومان، وذلك من خلال حملة كورنليوسباليوس عام 19 ق.م وذلك باعتبارها الطريق الهام المؤدي إلى جرمة عاصمة الجرمنتيين، وبعد ذلك مرت بفترة انتعاش اقتصادي كغيرها من مدن العالم الإسلامي في فترات الحكم الإسلامي الأولى نتيجة للاستقرار السياسي الذي ساد المنطقة العربية عامة بفضل الإسلام وتعاليمه.

ثم كانت مطمعاً لأغلب السلاطين الحفصيين، فقد أخضعها أبو فارس عبد العزيز الحفصي لنفوذه عام 796هـ وذلك بهدف الوصول إلى مدينة تلمسان ومحاولة تأمين خلفيته أثناء هجومه عليها.

كما واجهت حملة رمضان بأي 1118هـ والذي حاول أن يفرض جزية على سكان المدينة فقوبل بصدام دامي أدي لهزيمته وعدم تمكينه من الدخول إلى المدينة، إلا أنه أثر على اقتصاد المدينة بأن اقتطع حوالي 500 نخلة ودمر الكثير من أجزاء سور المدينة وكان الهدف كما رأي د. حبيب وداعة الحسناوي، في مقالته التي كانت بعنوان " حملة رمضان بأي على غدامس " والتي نشرت في مجلة البحوث التاريخية السنة الأولى العدد الأول 1979 حيث قال فالحملة إذا كان هدفها احتلال إقليم فزان وربطه بالإدارة التركية في تونس وربما التوغل جنوباً بهدف الوصول إلى نهاية مراكز تجارة القوافل في السودان وبالتالي التحكم في التجارة مع السودان خاصة بعد أن أخذت تزداد الأهمية الاقتصادية لطرق غدامس وبرنو في تلك الفترة".

وقد تعرضت غدامس أيضاً في فترة لاحقة إلى حملة من قبل الأتراك العثمانيين وخاصة في العهد العثماني أثناء حكم الأسرة القره مانلية لطرابلس من قبل يوسف باشا القره مانلي، فأخضع غدامس لنفوذه وفرض على السكان الجزية فأدى ذلك إلى انتكاسات إقتصادية.

ألا تعتقدون معي أن الأهمية الإقتصادية لغدامس هي الهدف من وراء السيطرة عليها من قبل الحكام والسلاطين طمعا في ثرواتها ؟

من المعلوم أن اقتصاد المدينة اعتمد اعتمادا كبيرا على القوافل منذ أزمنة غابرة، وأن الغرب الصليبي في بداية القرن التاسع عشر، دمر تلك التجارة بفرض هيمنته على المنطقة العربية وإلغاء طرق القوافل من أجل إيجاد أسواق لصناعته مما أدى إلى انتكاس أكبر لتجارة القوافل في غدامس وبالتالي للصناعات التقليدية وكل ذلك أثر بالسلب على الدخل العام للفرد والأسرة في المجتمعات الصحراوية ومما زاد المسألة تعقيدا قيام الحروب الكونية الأولى والثانية وانعكاساتها السلبية على أبناء الصحراء إلا أن وسائل بدائية لإكتساب المعيشة.

الصناعات التقليدية :

ليس بالمكان تغطية هذا الموضوع بالدراسة والتحليل نظراً لاتساعه وعدم توفر المراجع والدراسات التي تعين الباحث في جهوده .

إلا أنه يمكن عرض ونقل بعض الأفكار التي أخذت من هنا وهناك عن الصناعات التقليدية بغدامس عبر أحقاب طويلة من عمر المدينة نشأت فيها صناعات يدوية كثيرة واستطاع الإنسان أن يخلق نوعاً من الاكتفاء الذاتي، وذلك باستغلاله للخدمات المتوفرة محلياً وتقتصر الصناعات اليدوية على تطويع الخامات وجعلها صالحة للاستعمال اليومي بل استطاع أصحاب تلك الصناعات أن يدخلوا عليها لمسات فنية رائعة أكسبتها خصائصا فريدة وطابعاً مميزاً ومن أهم هذه الصناعات مايلي:

أولاً : الصناعات الجلدية والحريرية:

وتعد من أشهر الصناعات الغدامسية منذ القدم، وقد أكسبتها أحد أسمائها القديمة وهي (مدينة الجلود) فقد ورد في معجم البلدان لشهاب الدين بن عبد الله ياقوت الحموي الرومي البغدادي المتوفى سنة 626 هـ الموافق 1228 م، وفي حديثه عن غدامس يقول " تدبغ فيها الجلود الغدامسية وهي من أجود الدباغ لا شيء فوقها في الجودة كأنها ثياب قز".

واستعملت الجلود في صناعة الأحذية أو (البلغة الغدامسية) كما تدخل في صناعة الكثير من الأغراض الأخرى .

وسأتطرق بشيء من التفصيل عن الأحذية الرجالية والنسائية وجميعها تمر بمراحل صناعية هي:

1 –الدبغ ويعني تنظيف الجلد وتشطيفه من الشوائب.

2 –الصباغة أي إعطاء الجلد اللون المطلوب وكانت الألوان تتمثل في الأحمر والأصفر والأبيض.

3 –الرشم على الجلد ، أي رشم الزخارف المطلوبة بالنار على الأحذية الخالية من التطريز أو بأداة خاصة كي تمر على مرحلة لاحقة وهي التطريز.

1 – الوخز وهي إثقاب الجلد بأداة حادة كي يتم التطريز والتبطين والتكيف.

2 –التطريز وهذه المرحلة يقمن بها النساء وهي وضع الزخارف المرغوبة على الجلد بألوان وأشكال محددة حسب نوع الحذاء.

3 –التبطين والتكيف والتمليخ، وهي المرحلة النهائية لصناعة الحذاء ويقوم بها الإسكافي الرجل لجعل الحذاء جاهزاً للاستعمال حسب الطلب.

وينتج الحرفيون في غدامس أنواعا من الأحذية الرجالية والنسائية العادية والمطرزة بالحرير، وتعرف بأسماء عديدة مثل التليك، وبلغة الطلبة، والحذاء النالوتي، والحذاء العربي، والصندل، بالإضافة إلي أسماء محلية أخرى عديدة، ولكل نوع من الأنواع لون أو شكل أو زخرفة يمتاز بها ويستخدم في مناسبة أو مناسبات معروفة. كما ينتج الحرفيون أيضاً بعض الصناعات الجلدية مثل الحقائب والأحزمة وغيرها.

وقد تحدث الكاتب السويدي لارسايربلوم في أطروحته لنيل شهادة الدكتوراه عن الواحات الليبية الثلاث غدامس، وغات، ومرزق سنة 1962م بقوله " إن عدد الإسكافيين في غدامس قليل، وينحدرون من أربع عائلات تحصل على معاشها من هذه المهنة".

ثانياً: الصناعات القائمة على منتجات النخيل:

ينتج الرجال والنساء في غدامس أنواعاً عديدة من الصناعات القائمة على منتجات النخيل مثل الأطباق والسلال والمراوح السعفية وغيرها.

وتنقسم الأطباق إلي ثلاثة أنواع وهي :

1 –أطباق للغطاء: وتستخدم في تغطية أواني الأطعمة وغيرها.

2 –أطباق للحفظ: وتستخدم لحفظ أوتخزين مختلف المواد مثل الحبوب الغذائية وغيرها.

3 –أطباق الكيل: وتستخدم لكيل التمور والدقيق والحبوب وغيرها.

وتتفنن النساء في غدامس في صناعة الأطباق باختلاف أنواعها وينتجن منها أنواعا وأحجاماً مختلفة برسومات وزخارف جميلة تطلق عليها أسماء محلية معروفة.

ثالثاً: الصناعات الصوفية والوبرية:

تشتهر مدينة غدامس وبالتحديد قرية تونين التي تقع على بعد ثلاثة كيلو مترات من غدامس بالصناعات الصوفية والوبرية التي تعتمد على مواد خام محلية وباستخدام آلات

بدائية بسيطة. وتنتج النساء أنواعها من المصنوعات الوبرية مثل المفارش الأرضية والبطاطين والجرود والوسائد والملابس المحلية. إلا أن الإقبال على هذه الصناعات قد انخفض في السنوات القليلة الماضية. وأن عدد العاملات في مثل هذه الصناعات قد انخفض كثيراً لأسباب عديدة. وبالإضافة إلي الصناعات الجلدية والصوفية والوبرية وتلك التي تعتمد على منتجات النخيل، توجد بغدامس صناعات حديدية تقليدية تطورت في السنوات الأخيرة بحكم التغيرات التي حدثت في جميع المجالات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية وغيرها.

بعد هذا العرض للصناعات التقليدية بغدامس، يتبادر للذهن سؤالان:

الأول: ما المشكلات التي تواجه الصناعات التقليدية بغدامس، وما سبل مواجهتها؟

الثاني: كيف يمكن إبراز تلك الصناعات لتأخذ مكانتها الطبيعية في الحركة السياحية ؟

وللإجابة عن السؤال الأول حاولنا من خلال هذه الورقة أن نتعرف على ثلاثة مصاعب رئيسية، هي :

1. تناقص الأيدي العاملة المهرة تدريجياً نتيجة للعزوف عن الصناعات التقليدية وركود الأسواق الاستهلاكية. ويمكن مواجهة هذه الإشكالية بإنشاء معهد متخصص للصناعات التقليدية واستحداث دورات تدريبية منتظمة للشباب مع توفير فرص عمل للخبراء في هذا المجال، وتوفير أسواق من خلال إقامة المعارض الدورية داخل وخارج المدينة وشراء المنتوج من الصناع بأسعار مشجعة وإعادة تسويقه بأسعار مدعومة.
2. تناقص المواد الخام المحلية وغلاء المواد الخام المستوردة، ويمكن حل هذه المشكلة بالاهتمام بالمواد الخام المحلية والمتمثلة في النخيل بالنسبة لصناعات الخِوص والطينة الحمراء بالنسبة لصناعة الفخار وتوفير المواد الخام المستوردة والمتمثلة في الجلود والأصباغ والحرير.
3. منافسة الصناعات الحديثة للصناعات التقليدية : ويتم القضاء على هذه المشكلة بفرض بعض الصناعات التقليدية على المراكز الخدمية السياحية لتحسيس المواطنين والسياح معاً بأهمية الصناعات التقليدية لضمان الإقبال عليها مع تشجيع الصناع على ابتكار

بعض النماذج التي تتماشي مع روح العصر مثل صناعة الهدايا التقليدية وبأحجام أقل من الطبيعية، وتدعيم الصناعات التقليدية بالدعاية المستمرة في الوسائل الإعلامية المختلفة .من خلال الآتي :

1. السياحة لتقديم بعض الوجبات الغذائية.
2. الاهتمام بعرض هذه الصناعات بشكل يبرز مكانتها وقيمتها الثقافية في المتاحف والمعارض المحلية والدولية.
3. الرقابة الصارمة على أسعار الصناعات التقليدية لضمان وصولها للسياح بأسعار مشجعة.
4. نقل هذه الصناعات إلي الأسواق الأجنبية والمشاركة بها في المحافل السياحية الدولية.
5. اهتمام وسائل الأعلام المختلفة بالصناعات التقليدية وذلك بنشر معلومات وإبراز صور في الصحف والمجلات وتذاكر السفر بشكل دائم.

صورة رقم 5

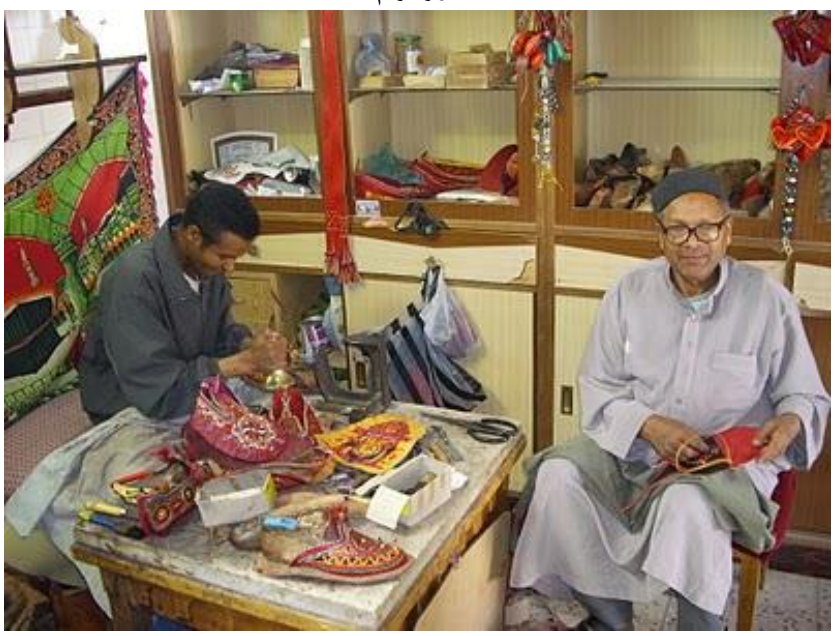

الصناعة التقليدية بمدينة غدامس

المحور الثالث

الأهمية السياحية للمقومات البشرية لمدينة غدامس

معالم غدامس الأثرية :

أستطاع الإنسان في مدينة "غدامس" أن يتكيف مع الطبيعة، ويؤسس معالم سياحية، منذ زمن بعيد،كان ولا يزال لها الدور الفعال في استقطاب الزوار الذين يبحثون عن الجمال المعماري والأسلوب التقليدي الثقافي لسكان هذه الواحة،وما خلفوه من أثار تستحق التنويه عليها مثل :

أولاً / المدينة القديمة :

تميزت هذه المدينة في شكل بنائها، وتخطيطها الهندسي، الذي يختلف عن سائر المدن القديمة في ليبيا بميزة تجمع القديم والحديث، وتجسد ذلك في تطورها ونموها بتأثير الظروف الجغرافية والاجتماعية والاقتصادية وبالمواد التي بنيت بها، والمستوحاة من البيئة المحلية كالحجارة الرملية باختلاف ألوانها والجبس، والطين وسيقان النخيل وغيرها من المواد فهي مدينة تختلف عن مدن العالم القيمة والحديثة لأنها مسقوفة هذا وقد تم أنشاؤها في وسط بساتين الواحة، وقد أحيطت بسور بلغ طوله ستة كيلومترات، وهو على شكل دائري، يبلغ طول قطره من الشرق إلى الغرب حوالي 1600م ومن الشمال إلى الجنوب حوالي 1500م(1) باب " جرسان " إلي باب " النادرة " .

وعلى الرغم من أن عمرها الزمني يقدر بحوالي ثلاثة آلاف سنة، إلا أنها ما زالت متماسكة وهي تتكون من ثلاثة أدوار وخمسة أدوار كحد أعلى(2) ، ورغم ليونتها وسهولة مواد بنائها وهشاشتها فهي أيضاً لا زالت صامدة، فالدور الأول يتكون من الطرق والأزقة، والزوايا الصوفية ومداخل البيوت،والدور الثاني خاص لبيوت السكن. أما الدور الثالث فيمثل السطح وبه المطابخ الخاصة بالنساء.

(1) – أحمد مصطفى عز الدين ، تاريخ غدامس القديم والحديث ، القاهرة ، 1975م، ص 14 .

(2) – جيمس ريتشاردس ، ترحال في الصحراء ، ترجمة الهادي أبو لقمة ، جامعة قاريونس ، بنغازي ، 1993م ، ص 109.

صورة رقم 6

لوحة لما تركه القصف من آثار

وتطل هذه المدينة على الحقول المخضرة التي تزينها "عين الفرس" وتغذيها شبكة من المياه من العين المذكورة والتي سيأتي الحديث عن طريقة توزيعها فيما بعد، أما عن أزقة المدينة فتمثل بدائية الحياة الغدامسية، فهي بمثابة مدن مسقوفة تحت الشمس، وقد حلت مشكلة الظل الذي يحتاجه المتجول بين هذه الأزقة في فصل الصيف ويلاحظ أن هذه الآزقة متلاصقة بحيث تتداخل ظلال الجدران لحماية البيوت.

ويلاحظ أيضاً وجود كراسي عند التقاء الأزقة، تجسد الترابط الاجتماعي بين السكان أما عن منازل مدينة غدامس القديمة، فهي صغيرة جداً وأن أبوابها مصنوعة من خشب النخيل لقوته وشدة متانته، والباب الرئيسي به خمسة أقفال ويتكون من الميدان والسقيفة والمطبخ، وحجرة النوم، والكبة، والمرحاض، أما السطح فالوصول إليه يتطلب صعود عدة أدراج .

ثانياً / البيت الأثري :

تم تأسيس هذا المنزل عام 1931 م(1)،ووضعت فيه البلدان الكثير من التحف والآثار والأدوات المحلية،وكان ولا يزال مقصداً للسياح والزائرين، وهو مزدان بزخارف الجدران والأبواب، ومختلف الزينات وقد كان يمثل صورة حقيقة لمنازل غدامس .

وبعد جلاء الإيطاليين سرقت آثاره وحاولت الإدارة الفرنسية إعادة المسروق ولكن دون جدوى، وبقى فارغاً من زينته طوال بقاء الفرنسيين وعهدهم. وفي ولاية فزان، عام 1958 أسس مرة أخرى بصورة بسيطة، وبعد قيام الثورة سنة 1969 م اهتمت به البلدان في غدامس اهتماماً عظيماً فأعادت إليه هيبته وجماله الأثري من جديد فزينته بالأواني النحاسية والمائية والإطباق والألوان الزاهية .

ثالثاً / المساجد والزوايا :

إن المتجول في المدينة القديمة بغدامس، يلاحظ البساطة في فكرة بناء المساجد وكثرة مواقعها، وإبراز مآذنها، حتى أنها صارت علامة معمارية مميزة في كل حي .

وهذا يؤكد تماسك السكان بالعقيدة الإسلامية، أظهر المدينة بهذا الشكل من التخطيط وخاصة فيما يتعلق، بتوسط المسجد للأحياء السكنية، ويبين أيضاً البعد الروحي والمعنوي، والفلسفي من وراء ذلك. كما يلاحظ الزائر أو المتخصص في فن العمارة قلة أو ندره القباب وربما يرجع ذلك إلا في المساجد والأضرحة والزوايا، وقد يرجع عدم ظهورها في بقية المباني الأخرى، لصعوبة الإنشاء، ولأن الإنسان كان يعتمد على نفسه، في بنائها دون أن يستخدم الآلات الحديثة، ومن المساجد العتيقة التي يرى فيها السائح، متعة الفن المعماري، وروعة جماله "الجامع العتيق وجامع عمران الفقيه، وجامع تندرين، وجامع يونس، وجامع أولاد بالليل، وجامع الظهرة، وجامع سيدي عقبة، وجامع العين، وجامع الفتح، وجامع السلام "أما الزوايا الموجودة بهذه المدينة والتابعة للطريقة الصوفية فهي ثلاث: الطيب، وأخرى للشيخ المدني، وزاوية للشيخ عبد السلام الأسمر، وزاوية للشيخ محمد على السنوسي.

(1) – يشير قاسم يوشع ،غدامس ملامح وصور ، مرجع سابق ، ص 286.

صورة رقم 7

المسجد العتيق بغدامس

رابعاً / الآثار والقصور :

وجد في سهل الأصنام بواحة "غدامس" بعض الآثار مبنية بالحجارة والجبس، قد تشبه الأصنام تسمى"تمسمودين" وقد تكون قبورا، صورة (26)، ويتأكد ذلك من الحفريات، التي أجريت عليها عام 1931م، وقد أزيل بعضها، ووجد تحتها جماجم عددها 150 جمجمة، وهياكل بشرية وقرط ذهبي ، وبقية لوح حجري، منقوش عليها بالحروف اللأثينية كلمة " ماريا "(1).

وفي شمال شرق الواحة، وجدت آثار عليها نقوش يونانية، ونقوش أخرى يحتمل أن تكون من أثار الجرمنت. وعلى أية حال، فإن البعض يرجح كل ما ذكر من هذه الآثار إلى ما قبل العهد الروماني(2).

من أهم الشواهد الأثرية التي لها قيمة من الناحية السياحية:

تمسمودين: وهي أثار رومانية على هيئة أصنام وشبه أصنام مبنية بالأحجار الجسد ويذكر أنها بقايا معابد رومانية قديمة كما توجد بغدامس بقايا قصور أو شبه قصور أو لعلها

(1) – بشير قاسم يوشع ، غدامس ملامح وصور ، مجمع سابق ، ص 18.

(2) – الهادي مصطفي أبو لقمة ، البيئة الطبيعية والتطور التاريخي ، مرجع سابق ، ص 25 .

حصون مهجورة منها قصر الغول شمالي غدامس وقصر بن عمير وقصر مقدول إضافة إلى القلعة العثمانية التي خصص جزء منها لمتحف غدامس .

وتمثل عين الفرس ذات الشهرة التاريخية القديمة وبحيرة مجزم ومنطقة الرملة أهم المعالم السياحية بالمنطقة .

عين الفرس: تعد أساس نشوء غدامس وهي عبارة عن نبع وفير من المياه وقد اهتم سكان غدامس بهذه العين ووضعوا قواعد للإستفاذة منها ري المزارع المحيطة بالمدينة وقد اخترعوا نظاماً بديعاً للري بحسابات دقيقة لكميات المياه المطلوبة لكل مزرعة بحيث لا يتعدى أحد حصته المحددة له أو لا ينقص منها شيئا (1).

قصر مقدول: يوجد قصر مقدول غربي سور المدينة يتضح أنه روماني فهو دائري ذو باب خفي وقد استعمل للمراقبة يعتقد أن الإمبراطور كركلا بني حصوناً في مدينة غدامس وذلك لتأمين هجمات الجرمنتين على المستعمرات الإمبراطورية الرومانية.

آثار (تمسمودين): لازالت بقاياها موجودة في الجهة الجنوبية الغربية من غدامس القديمة وهي آثار رومانية إلا أن البعض من الدارسين يرى أنها من بقايا حضارة الجرمنت التي سادت جنوب ليبيا لفترة من الزمن قبل مجئ الرومان ليدخل الجرمن في صراع مع الرومان، أدى إلي حملة كورنيليوسر على المنطقة وذلك في سنة 19 ق. م.

لقد أجريت بعض الدراسات على تلك البقايا فالبعض يعتقد أنها مقابر وذلك للعثور على جماجم أسفلها ويرى البعض أنها أعمدة لبنايات دينية قديمة

بحيرة مجزم : وهي بحيرة شديدة الملوحة وعميقة ويقدر عمقها أكثر من 70م .

تمتاز بحيرة مجزم بشدة ملوحتها وتستخدم مياهها للاستشفاء من بعض الأمراض الجلدية وتحيط بها السبخة من جميع الجهات وتوجد بها بعض الشجيرات التي تحورت أوراقها لمقاومة الارتفاع في درجة الحرارة والملوحة الشديدة تتكون البحيرة من بحيرتين أحدهما أكبر من الأخرى تتميز البحيرة الصغيرة عن البحيرة الكبيرة بعمقها وتبعد البحيرة عن

(1) – صفاء الشاذلي الأمين ، سبل تطوير مدينة غدامس السياحية ، ص 30.

مدينة غدامس حوالي 40 كم توجد في البحيرة بعض الأسماك الصغيرة، الطحالب التي تأقلمت مع مياهها المالحة، يستمتع السواح بالذهاب إليها والبقاء فيها الفترة الوقت (1).

رأس الغول : وهو نتوء جبلي بالقرب من الحدود الجزائرية وحسب الحكايات الشعبية بالمدينة هواجز معقل للكفار قبل استلامهم للفتح الإسلامي على يد عقبة بن نافع .

مشروع التنمية و التطوير في غدامس:

يجب الاهتمام ببعث الحياة البيئية التقليدية وذلك بإنشاء محمية للحيوانات البرية لهذه المنطقة مثل الغزال والنعام و الإبل وبعض الزواحف والطيور. ويمكن أن يبدأ هذا من خلال إحدى المزارع المستحدثة بالمدينة كمشروع النخيل؛ أو على شكل قرية سياحية استثمارية داخل المشروع أو بالمناطق المحيطة بالمدينة مثل منطقة البحيرات على أن يخصص جزء ثابت من دخلها لصندوق غدامس للتنمية و التطوير.

وكثير من السواح الأجانب يروق لهم تجربة رحلات القوافل وأكل لحم الإبل أو النعام أو الغزال والعيش في بيئة صحراوية لأسبوع من الزمان وإذا أضفنا لها بعض المناشط الترفيهية للكبار والصغار نوفر لها أفضل سبل النجاح.

من اجل خلق جو من التواصل مع بقية فئات المجتمع الليبي أرى تنظيم زيارات دورية ميدانية لطلبة السنة الثالثة بأقسام العمارة والاجتماع والتاريخ وتشجيع البحوث والدراسات والمشاريع ذات العلاقة بغدامس. كما نرى تنظيم رحلات للكشافة والجوالة والشباب لغدامس بحيث يستخدم جزء من المدينة القديمة كبيوت للشباب وبيوت ضيافة للعائلات لقضاء بعض العطلات.

ويمكن استغلال مباني المدينة القديمة في تنظيم دورات لحفظ القرآن الكريم ومسابقات عالمية في الحفظ بغدامس . فقد ارتبط تراثها بالقرآن الكريم أصلا وكم من عالم وحافظ للقرآن خرج من هذه المدينة؛ ومن بين علماء غدامس الشيخ عبد الرحمن البوصيرى وهو عالم ومربٍ له عدة مؤلفات.

(1) –أحمد الطيف عبد اللطيف ، السياحة بمدينة غدامس ، ص 105.

النتائـج والخاتمـة :

من خلال الدراسة الميدانية ومعالجتنا للدراسة معالجة موضوعية تتماشي مع المناهج العلمية. حاولت الدراسة أن تلامس الموضوع بشكل مباشر وغير مباشر وبعد جمع الاستمارة وتفريغها ومعالجتها على نظام إحصائي (SPSS) وركزت على عنصر رئيسي لقياس مدي ملائمة دور الموروث الثقافي لسكان مدينة غدامس على التنمية السياحية للمدينة وحاولت أن نغير أفكار الناس وسلوكهم ومشاعرهم تجاه الموروث الثقافي الليبي الغدامسي والتنمية السياحية وتوصلنا إلى النتائج التالية :

1 -إن دراسة الموروث الثقافي الليبي يتطلب وقت طويل وذلك لتنوعه.
2 -إن الموروث الثقافي الليبي يعاني أزمة انفصال بين الماضي والحاضر.
3 -إن الموروث الثقافي في مدينة غدامس لا يزال موجوداً بين أفراد المجتمع الغدامسي.
4 -رغم التطور التقني ودخول الآلة إلا أنه لا يزال هناك فئة من السكان متمسكة بالآلات القديمة في الزراعة وصناعة النسيج والصناعات الصوفية والجلدية والسعفية.
5 -هناك محاولات متواضعة من المسؤلين لإحياء الموروث من جديد في المهرجانات أو الندوات حول الموروث.
6 -سكان مدينة يجشعون على التنمية السياحية لكن ليس على حساب العادات والتقاليد.
7 -يختلف الموروث الثقافي لسكان مدينة غدامس عن باقي المدن الاخرى في ليبيا.
8 -تقصيرمن المسؤولين في الحفاظ على الموروث الثقافي مما ساهم في تراجعه.
9 -المعاملة الحسنة مع السائح تشجعه للعودة مرة ثانية لزيارة المدينة.
10 -يعتز سكان المدينة بأنهم غدامسيون لأن بها العديد من الآثار الرومانية والإسلامية والمناظر الطبيعية.

الخاتمـة:

كي يتم التواصل الشعبي مع تاريخ وحضارة غدامس نرى ضرورة استحداث مشاريع إعلامية بين الخيالـة والإذاعـة المرئـية والنشـاط الـترفيـهـي والمسرحي بإنتاج مسلسلات عن تاريخ وأعلام وعلماء غدامس وحضارتها بحيث تصور على عين المكان كما يعيشها أهلها وبـالـتـالي تـخـلق فرص عمل وتصقـل القدرات الفنية المحلية وتساهم في استغلال الاستثمار الحالي فيها.

ولو أضفنا إلى هذا محلات لصناعة وبيع المشغولات والصناعات التقليدية المحلية فإن ذلك سيخلق فرص عمل للنساء والرجال بالمدينة، وإذا تم تهيئة متحف دائم للتراث داخل المدينة القديمة، فستجمع زيارتها بين المعمار والتراث في وقت واحد.

المراجـــــع :

1 -أحمد اللطيف عبد اللطيف،السياحة بمدينة غدامس، منشورات دار مدبولي للنشر والتوزيع، 2002م.

2 -أحمد مصطفي عز الدين، تاريخ غدامس القديم والحديث، القاهرة، 1975م.

3 -أحمد ضو عبد السلام، المعادن والمواد المختلفة الموجودة بواحة غدامس، وثيقة غير منشورة 1995م.

4 -الهادي أبو لقمة،البيئة الطبيعية والتطور التاريخي من كتاب غدامس، التحضير والقاعدة الاقتصادية، منشورات قاريونس، بنغازي، الطبعة الاولي، 1995م.

5 -الصغير عبد القادر باحمي، جمعة محمد العناق، السياحة الصحراوية وقع وآفاق، ندوة علمية عقدت بمدينة غدامس من 1997/5/11/9م.

6 -بريك عبد العزيز أبو خشيم، مرجع سابق، ص 301-301.

7 -بشير قاسم يوشع، غدامس ملامح وصور.

8 -جيمس ريتشاردس، ترحال في الصحراء ، ترجمة الهادي أبولقمة، جامعة قاريونس، بنغازي،1993م.

9 -صفاء الشاذلي الأمين ، سبل تطوير مدينة غدامس السياحية ، ص 30.

10 -عبد العزيز طريح شرف، جغرافية ليبيا ، مرجع سابق ، ص 475.

11 -محمد خميس الزوكة صناعة السياحة من المنظور الجغرافي، مرجع سابق، ص130.

12 -نور الدين مصطفي الثاني، السياحة الصحراوية واقع وأفاق، ندوة علمية بمدينة (غدامس) من 9-1997/11،5م تحرير، د. الصغير باحمي ومن معه طرابلس، ليبيا، 1999م، ص 80.

13- شبكة المعلومات الدولية: www.muhrra.com

14- أراء وأقوال أهالي غدامس، فبعضهم يقول 10000 وأخرون 2000 أو 3000 أو 11000 نخلة تعتمد الرقم الأخير.